مجلة علوم اللغة العربية (فصلية علمية)

تاريخ استلام المقال:٢٠٢٣/١٠/٢٦ تاريخ قبول المقال: ٢٠٢٤/٢/٢

The semiotics of the textual thresholds of the modern Iraqi novel (Sinan Antoun's novels as a model)

Ali Helali Jazire [1], mohammad javad pourabed*[2]

1. PhD student of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr -Iran
Helaliali8888@gmail.com
2. Associate Professor, Department of Arabic Language and Literature, Persian Gulf University, Bushehr-Iran. (The Corresponding Author): m.pourabed@pgu.ac.ir

Abstract

There is no doubt that the novel is one of the most important literary genres that are full of signs, and as soon as one of them is interested in revealing signs, he resorts to semiotics. Semiotics is a procedural process that envisages revealing the system of signs, that is, the verbal units in the text, and it opens up new avenues and horizons that illuminate the unknown artistic expression of the reader. Iraqi literature after witnessing wars in the modern era, tyrannical governments, and the presence of the other in the Iraqi homeland; His old features have changed, and the stage of standing up to tyrants has begun. From this standpoint, we can arrange the writers in this field as follows: Some of them wrote realism without resorting to signs, signifiers, and others, and some of them found their desire in symbols, signs, and signifiers, so they multiplied signs within the text. Sinan Antoun was the voice of the sectarian minorities in Iraq, as he reflected in his texts the Iraqi pain in recent times, and he used signs to reveal his intentions to those who covet more than the appearance. For this, through the descriptive-analytical approach, we will study the novels of Sinan Antoun in a semiotic study, and we have chosen the most important of his novels that dealt with Iraqi minorities. At the beginning, we studied the novel "Oh Mary" and then the novel "Alone with the Pomegranate Tree." It is performed in the fictional text, and the importance of the research lies in focusing on the semiotic approach and extracting the types of semiotic signs from a symbol, indicator and icon, and analyzing the semiotic connotations and revealing their functions in the title, cover and colors.

Keywords: semiotics, Sinan Antoun, the pomegranate tree alone, Oh Maryam.

سيميائية العتبات النصية للرواية العراقية الحديثة (روايات سنان أنطون أنموذجاً)

علي هلالي جزيرة [١]، محمد جواد پور عابد* [٢]

[١] طالب دكتوراه، فرع اللغة العربية وآدابها في جامعة خليج فارس، بوشهر – إيران

[٢] أستاذ مشارك في قسم اللغة العربية وآدابها، جامعة خليج فارس، بوشهر–إيران (الكاتب المسؤول)؛

m.pourabed@pgu.ac.ir

الملخّص

لا شك بأنّ الرواية من أهم الأجناس الأدبية التي تمتلئ بالدوال، وما أن يهمّ أحدهم بكشف الدوال حتّى يلتجئ إلى السيميائية. والسيميائية عملية إجرائية تتوخّى الكشف عن نظام العلامات، أي الوحدات اللفظية في النص، وهي تفتح سبلاً وآفاقاً جديدة تنير مجاهل التعبير الفنّي للقارئ. الأدب العراقي بعد ما شهد الحروب في العصر الحديث، والحكومات الطاغية، وحضور الآخر في الوطن العراقي؛ قد تغيّرت ملامحه القديمة وبدأت مرحلة الوقوف بوجه الطغاة ومن هذا المنطلق نستطيع أن نرتّب الأدباء في هذا المجال كما يلي: فمنهم من كتب الواقعية دون أن يلتجئ إلى العلامات، والدوال، وغيرها، ومنهم من وجد رغبته في الرموز، والعلامات، والدوال، فكثّر من العلامات داخل النص. سنان أنطون كان صوت الأقليّات المذهبيّة في العراق، فعكسَ في نصوصه الوجع العراقي في الآونة الأخيرة، وقد استخدم العلامات لكشف مقاصده إلى من يطمع لأكثر من الظاهر.

لهذا من خلال المنهج الوصفي– التحليلي سندرس روايات سنان أنطون دراسة سيميائية وقد اخترنا أهم رواياته التي عالجت الأقليات العراقية وبداية درسنا رواية "يا مريم" ثم رواية "وحدها شجرة الرمان" وقد اهتمّ الروائي في كثير من رواياته بالسيميائية، مثل سيميائية العتبات النصّية والوظائف التي يؤدّيها في النص الروائي، كما أن أهمّية البحث تكمن في التركيز على المنهج السيميائي واستخراج أنواع العلامات السيميائية من رمز ومؤشر وأيقونة، وتحليل الدلالات السيميائية وكشف وظائفها في العنوان والغلاف والألوان.

الكلمات المفتاحية: السيميائية، سنان أنطون، وحدها شجرة الرمان، يا مريم.

١. المقدمة

الأحداث والأزمات التاريخية في الآونة الأخيرة في البلدان الإسلامية وتحديداً في العراق والحصار المفروض من الحكومة الأمريكية على البلدان الإسلامية والمجاعة، والفقر، وعدم الأمان، وظهور الحزب البعثي في العراق جعل الأدباء في حيرة من أمرهم، فمنهم من نزح عن دياره وذهب بعيداً ومنهم بات في سجون الحزب ومنهم من اتّخذ السكوت والاعتزال ومنهم اهتمّ بالرمز والسيميائية ونقل ما يرنو إليه من خلال العلامات، والدوال بداية من الغلاف حتّى نهاية البحث. الرواية العربية برزت في الخمسينيات بصورة قوية وظهرت كُتّاب نالوا الجوائز والشهرة. في الأدب العراقي أيضاً نرى أدباء لهم بصمتهم في الأدب العربي الحديث، لهذا سندرس سنان أنطون من خلال العتبات النصية لأهم رواياته بداية برواية "يا مريم" وثم رواية "وحدها شجرة الرمان"، وسنكشف سيميائية الغلاف والعنوان في كلتا الروايتين.

وأهمية البحث هي بما أنّ الرواية هي سُلّم التأريخ القديم والحديث، والتاريخ هو الذي يجعل الصلة بين الأجيال، فلابُدّ أن تكتب؛ لهذا عزم الروائيون على ضبط الأحداث السياسية الحديثة من خلال رؤيتهم للمجتمع، فقد نقل لنا سنان أنطون أحداث العراق الحديث من خلال رواياته الاجتماعية، فتعمّد على أن يأتي بنا من عصر صدام حتّى انفجار كرّاده؛ فهنا تظهر أهمية هذا البحث: أولاً: العراق جار مهم لوطننا العزيز ايران؛ لذا يجب أن نعرف الشؤون المختصّة به. ثانياً: الجيل المعاصر من الأدباء يعتمد على الدوال ليكوّن لنفسه مجموعة نثرية تختصُّ به بعيدة عن متناول الأيدي والقرّاء المبتدئين، فيجب تحليل نصوص مثل نصوص هؤلاء الأدباء.

١ – ١. *اشكاليّة البحث*

مرّت سنوات عجفاء على تاريخ العراق الحديث، وقذفت بالعراقيين الى ديار ليس في الحسبان، فقد شهد العراق الحديث اغتيالات مدروسة، وثورات مكتوبة، وحروباً مفروضة وجبابرة كُثر، فهرب من ضاق به العراق. لكنّ للأديب حسّاً وطاقة يعيشها في الغربة ويروي الأحداث كما

هي؛ فتاريخ العراق الأدبي في هذا القرن المنصرم شهد فطاحل من الأدباء، في الشعر والسرد؛ ومن اولئك الأدباء الذين كتبوا الشعر والرواية هو سنان انطون. أخذ البحث والنقد الأدبي الحديث يحتلّ مكانة واسعة عند المهتمّين في شئون الأدب عامة والرواية خاصة. لذا تكاثرت المدارس الأدبية لتحليل النصوص الأدبية، ومن تلك المدارس، مدرسة النقد التاريخي، ومدرسة النقد الاجتماعي، ومدرسة النقد النفسي، ومدرسة النقد الشكلاني، ومدرسة النقد البُنيوي. ارتأيتُ أن أدرس الرواية العربية وأخصُّ أدب العراق في هذا البحث وأتطرّق إلى روايتين من سنان أنطون أولاً "يا مريم" وثانياً "وحدها شجرة الرمان"، للروائي العراقي سنان أنطون. فقد عزم هذا التحقيق على كشف النماذج الظاهرة والمشيرة لسيميائية النص؛ وبعد القراءة الدقيقة لكلتا الروايتين حصلنا على نماذج عدّة وشرحناها وفق النظرية النقدية والتحليل البنّاء، وكانت اشكالية البحث قائمة على سؤال محوري وهو ماذا يريد الروائي باختياره الرموز من بداية العتبات النصية حتّى نهاية الرواية؟ فمن هذا المنطلق انكشف لنا بأنّ الروائي هو من تعمّد بخلق دوال عدّة لمن يرغب في فهم الكثير عمّا يحدث في العراق.

١-٢ . اهداف البحث

- الكشف عن الدوال الاجتماعية في روايات سنان أنطون.
- فهم السيميائية والتطرق لها تفسيراً وتحليلاً من خلال نصوص سنان أنطون.

١-٣ . أسلوب البحث

اعتمد اسلوب البحث على المنهج الوصفي-التحليلي وتجميع البيانات والمعلومات في قصّاصات ورقية من المكتبات العامّة والخاصّة والمواقع والمدوّنات الإلكترونية.

١-٤ . الأسئلة والفرضيّات

لاشكّ بأن جميع الدراسات تبتدئ بسؤال، بحيث يشغل ذهن الباحث، فوفقاً لهذا الأمر، سنسعى للبحث عن أجوبة لهذه الأسئلة:

- وفقاً لمنهج السيميائية؛ ماهي أهم الأساليب والفنون السيميائية في روايات سنان أنطون؟

– ما أهم المضامين والمفاهيم التي عكسها سنان أنطون من خلال رواياته؟

– ما الأمور التي عانى منها سنان أنطون وما متطلّباته للمجتمع العراقي الحديث؟

بناءً على هذه الأسئلة التي ذكرناها، نحاولُ في هذه الدراسة، أن نناقش الفرضيّات التالية، لربّما نصل إلى جواب:

– من أهم خصوصيات روايات سنان أنطون، هي أنّ الروائي قد استفاد من اللّغة الشعبية والأمثال الدارجة لإيصال مفهومه الشعبي، ومن خلال الأغاني الشعبية، والرموز، والدوال، والتناص، والأساطير التأريخية، والأدبية، والثقافية، والدينية، حاول الروائي أن يعطي طابع الحنين إلى نصه، وبالحوار الفصيح جعل نصه قويم البُنية.

– تأريخ العراق الحديث، ومسائله السياسية والاجتماعية، والحروب التي أدّت إلى ضياع مستقبل الكثيرين من جيل الثمانينيات، والصراع المذهبي في تاريخ العراق الحديث بين أطياف شتّى منها السُنّة، والشيعة، والمسيحيين وحتّى اليزيديين، كل هذه الأمور كوّنت لسنان أنطون مجموعة مفاهيم لإشباع نصوصه بأدبية خاصّة، فسعى يبحث، من خلال السيميائية، عن الهويّة العراقية الحديثة التي ضاعت بين هذه الصراعات المتشبّثة والمتشعّبة الجذور.

– من أهم متطلّبات سنان أنطون في رواياته، هو أن يستقر العراق، لكي يكوّن لشعبه مستقبلاً بعيداً عن الاختلافات، والصراعات، والتشتّت القبلي، والطائفي، والمذهبي، وأن يعيد هويّته الإسلامية، بحكومة ليبرالية بُنيت على أساس أصالة الشعوب.

١–٥. *خلفية البحث*

الدراسات السيميائية، دراسات حديثة دخلت النوادي الأدبية والمجتمعات النقدية والجامعات الأكاديمية، وقد أقبل على هذا النوع من الدراسات أولئك الذين يهتمّون بالنقد الأدبي والكشف عن معانٍ ثانوية للنص، لذا على وجه المثال لا الحصر نذكر قسمين من المصادر قسم يعالج كتب تنظرية، ودراسات تعالج التوصيف والتحليل:

كتبت بشرى بلقاسم (٢٠١٩م) مقالاً بعنوان "**سيميائية العتبات النصية في رواية وعد الياسمين لرابح فيلالي**" ونشرت في مجلة علوم اللغة العربية وآدابها ودرست الكاتبة تمظهر الوطن على مستوى العتبات، من خلال الغلاف الخارجي، والواجهة، والغلاف الخلفي، والعنوان، والعناوين الفرعية، لاسيما هي وهي، حلم وتأشيرة، والأرض أمي. ترى الكاتبة أنّ رواية "وعد الياسمين" تُعدّ صرخة فاضحة للأوضاع المرفوضة وفي الآن ذاته همسة صادحة مادحة لتكاتف الشعب في مواجهة الظروف القاهرة، يحتفي بالوطن كبؤرة جمالية يثير فيها كوامن الوجدان ويحرك سواكن الأشجان.

كتبت الطالبتان حنان دمس وعفاف لملوم (٢٠١٧م) رسالتهما بعنوان "**العتبات النصية في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج**" ونوقشت في الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في جامعة محمد الصديق بن يحيى.

كتبت جهيدة لعور (٢٠١٨م) رسالتها بعنوان "**العتبات النصية في رواية الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال**" لعز الدين جلاوجي وقامت الكاتبة بدراسة الرواية على ثلاثة فصول: الفصل الأوّل العتبات النصية وتمظهراتها في النقد الغربي والعربي وفي الفصل الثاني العتبات المحيطة الخارجية في رواية الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال، وفي الفصل الثالث نقرأ العتبات المحيطة الداخلية في رواية الحب ليلا في حضرة الأعور الدجال كعتبة الإهداء وتصدير الكتاب، والعناوين الداخلية، ومكان ظهور العناوين الداخلية.

كُتِبَت دراسات ورسائل عديدة حول العتبات النصية في الأدب الحديث، فلم يتطرّق أحد إلى روايات سنان أنطون من هذا الجانب، ودراستنا هذه جاءت لتُسلّط الضوء على العتبات في رواية "يا مريم" ورواية "وحدها شجرة الرمّان" وبما أنّ روايات سنان أنطون تمثّل تاريخ العراق الحديث فهي تُظهر أهميّة هذا البحث.

١-٦. السيرة الذاتية للكاتب

سنان أنطون كاتب ومخرج وشاعر عراقي وُلد في بغداد عام ١٩٦٧. بعد حصوله على شهادة الليسانس في الأدب الإنجليزي هاجر إلى الولايات المتحدة الأمريكية لإكمال الدراسة وهروباً من الحرب الخليجية عام ١٩٩١، وقد حصل على شهادة الماجستير في عام ١٩٩٥ وشهادة الدكتوراه في عام ٢٠٠٦ من جامعة جورجتاون في الأدب العربي كما أصبح مدرساً في تلك الجامعة. في عام ٢٠٠٣ نشر سنان روايته «إعجام» التي تُرجمت إلى شتّى اللغات كالإنجليزية والبرتقالية والإيطالية والنروجية، وفي عام ٢٠١٠ نشر رواية «وحدها شجرة الرمان» والتي كانت من أهم أعماله الأدبية، ثمّ رواية ياميم عام ٢٠١٢ وفي الأخير رواية الفهرس عام ٢٠١٦.

٢. *العتبات النصية*

رغم أنّ تعدّدت التعريفات والمصطلحات في ترجمة هذا العنوان وقدمت عدة مصطلحات كترجمة لهذا المصطلح إذ يترجمه محمد بنيس بالنص الموازي، ومختار حسني بالتوازي النصي. (دمس، وللوم، ٢٠١٧م: ١٢). فالعتبات هي مجموعة من العناصر التي تكون تابعة لنص لكنها ليست من صميمه، وهي ليست زوائد لامعنى لها إذ يمكننا عدّها بمثابة الأطراف بالنسبة للجسد فالتخلي عنها يعدّ بمثابة بتر لنصّ، تكون نتيجته الإخلال بالنص من الناحية المعنوية ونقص في قيمته الأدبية. والمناص بنية نصية متضمنة في النص وهو فضاء يشمل كل ماله علاقة بالنص من عناوين رئيسية والمقدمات وذيول وصور والتمهيد والتقديم وكلمة الناشر والتعليقات الخارجية. (المصدر نفسه: ١٣-١٤).

٣. العتبات النصية في رواية «يا مريم»

رواية "يا مريم"، رواية تحمل الرموز والدلالات العديدة، من العتبة الأولى حتّى نهاية الرواية، إذن في هذا الفصل سنعالج قضايا مرتبطة بالعتبات، والرموز والدلالات الكامنة في طيّها:

١-٣. غلاف رواية «يا مريم»

عتبة الغلاف، أو الغلاف، هو أوّل ما نقف عنده، لأنّ «الغلاف العتبة الأولى التي تصافح بصر المتلقي، لذلك أصبح محل عناية واهتمام الشعراء الذين حولوه من وسيلة تقنية معقدة لحفظ الحاملات الطباعية إلى فضاء من المحفزات الخارجية الفنية المساعدة على تلقي المتون» (عبد الرزاق، ٢٠٠٠م: ٢١). وعليه فإنّ الغلاف الخارجي يتضمن كلّ ما يحيط بالرواية، فهو واجهة يقدّم بها الكاتب روايته للمتلقي «وجاء غلاف الرواية كعتبة تساعد القارئ للولوج إلى متن الرواية لما يحمله من مؤشرات ودلالات، ويتكوّن غلافها من أربع وحدات جرافيكية، الوحدة الأولى تمثلت في الصورة، ومكوناتها المختلفة، والوحدة الثانية هي اللّون، والوحدة الثالثة تمثلت في اسم الكاتب فيما يشكّل العنوان الوحدة الرابعة وهي وحدة دلالية كبري» (بلطراش، ربيعة، ٢٠١٩م: ٤٢). وقد احتلّ اسم الكاتب الصدارة ليأتي تحتهُ عنوان الرواية ثم تليه دار النشر التي ساهمت في الترويج للرواية، يتبعها التجنيس في آخر صفحة الغلاف.

صورة الغلاف: هي لوحة من لوحات الفنان "الفريدو بيكوندوا" (المصدر السابق: ٤٤). فهناك ربط بين الصورة والعنوان وماجاء في متن الرواية. تحمل صورة الغلاف امرأة مجهولة الملامح، تضمّ إلى صدرها طفلاً هو الآخر ملامحه مجهولة، إلّا أنّ ذلك لا يبعد التدليل على أنّ اللّوحة ذات مرجعية دينية تمثّل صورة "مريم العذراء" ووليدها السيد المسيح، ولعل غياب ملامح الوجهين

(الأم والابن) يشير بدلالة عامة إلى أيّ امرأة وطفلها، فصورة الغلاف تترابط ونصّ الرواية، فهذه الصورة قد تمثّل حالة الأمّ الحزينة "مها" التي فقدت ابنها قبل ولادته في الانفجار، فهي تمثّل أحزان الأمّ العراقية الثكلى التي ربطها بأحزان مريم العذراء.

ما يمكننا هو إقصاء ستار صورة الغلاف، لتعرب لنا عن الحالة السيئة والمأساوية التي يعيشها العراق والعراقي المسيحي الذي يرى نفسه منبوذاً وغير مرغوب فيه من قبل مجتمعه، خاصة الفئة التي عاشت مرحلة دمار العراق وخرابه، وهذه الفئة في الرواية تمثلها "مها"، على خلاف "يوسف" الذي عايش العراق وآلفه بكل ظروفه، حيث يرى العراقي المسيحي أنّه لا حقوق له، لذلك كان يفكر في الهجرة للعيش بسلام في وطن آخر.

فتحدثنا "مها" عن جارها "أبو محمد" كيف كانت مشاعره تجاه ما يحصل للعراقيين من تهجير وقتل وتشرّد: «**مادرنا بالنا عليكم، وانتوا المفروض أمانة في زُگبتنا، قال أبي له: احنا ما درنا بالنا عالعراق كلنا**» (انطون، ٢٠١٢: ١٢٢). فمشاهد الألم والحزن يحملها العراقي مهما كان مذهبه، فالأوّل يشير إلى عدم الاعتناء والاهتمام بالفرد العراقي، والثاني يشير إلى عدم الاهتمام بالوطن العراق ورعاية أحوال أهله. وبالتالي يمكن القول أنّ غلاف رواية "يا مريم" هي البوابة التي رسمها الروائي "سنان أنطون" لدخول القارئ إلى المتن الروائي. وفي الأخير نستنتج ممّا سبق أنّ للغلاف أهمية كبرى في ترسيخ فحوى الرواية في ذهن المتلقي و«عتبة الغلاف شكلت خطاباً بصرياً اعتمد على لوحة تشكيلية باعتبارها نسقاً سميولوجياً تتناسل منه الدلالات وفق العلامة البصرية» (عبدالله الثاني، ٢٠٠٨م: ٢٠). إذاً فالواجهة الأمامية لأيّ عمل أدبي، هي محطة أولى لشدّ انتباه القارئ واغوائه للولوج إلى أعماق النصّ الروائي.

٣-٢. الألوان

تعدّ الألوان من أهمّ المكونات الأساسية للجمال، فنقول إنّ اللّون جمال في حدّ ذاته، مهما كانت دلالته ومهما كانت غاية الكاتب أو الروائي في وضعه للألوان، فلكلّ لون دلالته الخاصة به. «اتخذ اللّون وظيفة تكنولوجية عندما حلّ محلّ اللّغة، ومحلّ الكتابة ولهذا وجب ربط اللّون

بنفسية المتحدث ونفسية المتلقي، ثمّ بالوسط الاجتماعي والبيئة المحيطة بالفنان فتساهم دلالة اللّون في نقل الدلالات الخفية والأبعاد المستترة في النفس البشرية» (السعدية، لا تا: ٢٢٧-٢٢٨). فاختيار الألوان يرجع إلى الظروف النفسية والاجتماعية التي يعيشها الفرد وحتى الثقافة التي يترعرع في كنفها، أي أنّ الألوان تلعب دوراً مهماً في التأثير على نفسية الفرد.

فالألوان التي يختارها الكاتب في عمله الأدبي، لابدّ أن تجسّد لنا المتن الروائي الذي ينبهر له القارئ برؤيته لتلك الألوان، التي تكون مصدر تأويلات عدة وبالتالي تمكّنه من معرفة ما يرمي إليه الكاتب باستخدامه لتلك الألوان.

غلاف رواية "يا مريم" التي نحن بصدد دراستها، يحمل ألواناً عدّة، كـالأسود، والرمادي، والأحمر، والأبيض، كما طغى كلّ من اللونين، الرمادي والأسود، وبالنسبة لهذا الأخير «يتفق معظم الأدباء بأنّه لون سلبي وعلى الرغم من ذلك يكثرون من توظيفه، لنقلهم الواقع المراد تجسيده بحمله لدلالات عدة فهو رمز للشؤم، الحزن، الظلام والكآبة» (صالح ويس، ٢٠٠٤: ١٢٤). وهذا ما نلمسه في رواية "يا مريم" عند مها التي تقول: «**دخلتُ غرفة نومنا المظلمة، التي لم تكن غرفتنا بل محطة انتظار، مثل البيت كلّه، ومثل حياتنا هذه الأيام خلعت نعلي وارتميت على السرير ودفنت وجهي في الوسادة الباردة، استيقظ حزني بسرعة، كعادته في السنة الأخيرة، يئنّ أنيناً تصاعد إيقاعه وأعقبه نحيب مبلّل بالدموع**» (انطون، ٢٠١٢م: ١٠٥).

فمَها بواقعها الكئيب الذي عاشته لكونها مسيحية، وفقدانها الأمل الذي غُرس في روحها بعد حملها الذي لم ير النور، ذاقت الأمرين فأضحت جسداً بلا روح، كما نقل لنا هذا اللّون واقع العراق ككلّ، وما ذاقه من ويلات الحروب والدمار والخراب في فترة استحواذ "صدام حسين" والحزب البعثي على الحكم، وبالأخص حادثة انفجار "كنيسة النجاة" في بغداد عام ٢٠١٠م والتي راح ضحيتها العديد من المسيحيين، فمن هنا كان منطلق أحداث الرواية، ومن

الشهادات الحيّة على هذا الفعل الإرهابي، ما جاء في تصريح مها، بطلة الرواية، لقناة "عشتار الفضائية" بعد الحادثة بثلاثة أيّام، حيث تقول:

«**أوّل ما دخلوا قاموا يضربون طلقات على الناس اللي منبطحين على جوانب الكنيسة وقتلوا عدد كبير منهم، أوّل شخص قتلوه قدام عيني الشماس... بعدين طلع القس، أبونا وسيم... يحاول يهدي الوضع، فقال لهم "اتركوا المصلين، وشتريدون أني انطيكم... تعاملو وياي اني، أخذوني رهينة، ضربوا طلقة برأسه. بعدين ضربوا أبونا ثائر، بس ما مات راس.. ظل يصلي بصوت عالي يقول بين يديك استودع روحي جا واحد منهم وضربه بطلقتين سكتوا**» (انطون، ٢٠١٢م: ١٥١).

أمّا اللّون الرمادي الغامق المائل إلى الأسود، فهو لون بارز بكثرة على غلاف الرواية وهو عادة يرمز إلى الغموض والمأساة ويشبّه هذا الأخير بشعر كبار السنّ، كما أنّه يدل على الهمّ والشقاء والرغبة الجامحة للانتصار على الآخرين، وهذا ما يتجسّد من خلال الحوار الذي دار بين يوسف ومها: «**عيني قيعدمونا بكل مكان بلا محكمة وماحد يحكي الكنائس قتنحرق والناس قتتهجر وقيذبحون بينا يمنة ويسره**» (انطون، ٢٠١٢م: ٢٤). فالعراقي المسيحي كان منزعجاً من الوضع المأساوي الذي يعيشه بسبب التناقض والاختلاف في كلّ جوانب الحياة، سواء الثقافية أو الاجتماعية أو الدينية، ولكن لكل مسيحي عراقي وجهة نظر تختلف عن الآخر، فمثلاً "يوسف" يرى أنّه لا فرق بين مسلم ومسيحي أو بين كنيسة وجامع، على خلاف "مها" التي ترى أنّ المسلمين يرفضون وجودهم ويقدمون على إعدامهم دون محاكمة ويحرقون كنائسهم. أمّا اللّون الأحمر فيأخذ حيّزاً أقلّ من اللّونين السابقين (الأسود والرمادي) على غلاف الرواية، وللأحمر دلالات عدّة، منها الموت والقتل والدم والغضب والظلم والاستبداد، كما له دلالة الحب والرومانسية. ومن دلالته على الدّم والقتل ما جاء على لسان "مها" وهي تصف المجزرة التي حدثت في الكنيسة فتقول:

«**ظل جسد يوسف مسيحي على أرض الكنيسة لأكثر من أربع ساعات قبل أن يحمل إلى الخارج بعد تخليص الرهائن وإخلاء الجرحى، كان محاطاً بأشلاء بشرية وبقطع الزجاج المكسور والغبار والجس وببركة صغيرة من الدم الذي ضل ينزفه**» (انطون، ٢٠١٢م: ١١٥).

فهي نقلت بشاعة ما حصل وكيف كانت الجثث متناثرة على الأرض لساعات ومن دلالته على الظلم والموت قول مها:

«**فبين فترة وفترة كانوا يستعملون رمانات والأرض تهتز بينا بعدنا يضربوها...فاتفقوا بيناتهم إن بس تدخل القوات العراقية يفجرون أنفسهم علمود نموت إحنا وهمّ والقوات العراقية**» (انطون، ٢٠١٢م: ١٥٣).

فصوّرت مها بطلة الرواية مشهد الظلم الذي تعرّضوا له داخل الكنيسة، وكيف أنّ الجماعة الإرهابية قرّرت تفجير نفسها ليموت الجميع دون رحمة. إذاً اللّون الأحمر في الغلاف يشير إلى الاغتيالات، وسفك الدماء، والنيران التي التهمت الكنائس.

ومن دلالات اللّون الأحمر، التي تعبّر عن الحب والرومانسية في الرواية، ما حدث ليوسف وقصّة حبّه الحزينة مع ابنة عمّه نجاة:

«**عشق نجاة بجنون وأراد أن يتزوّجها وكان الاتفاق بين العائلتين هو أن تتزوج هي يوسف وأن يتزوج غازي أخوه أختها الصغرى... وغازي كان قد وقع في غرام امرأة وأصرّ أن يتزوجها، زعل أهل نجاة من قرار غازي ورفضوا أن تزوج نجاة ليوسف**» (انطون، ٢٠١٢م: ٦٣).

فبسبب العادات الموجودة بين العائلات، فشلت قصّة حبّ يوسف وهذا ما أدّى إلى حدوث قطيعة ومجافاة بين العائلتين حتى وفاة "گورگيس" والد يوسف، تزوّجت نجاة ورزقت بطفلين، بينما ظلّت نظرة يوسف لها، بقايا رغبة وتساؤلات خرساء، لما حدث لحبهما والنتيجة التي آل إليها. ومن قصص الحبّ الحزينة التي عاشها يوسف، قصته مع الفتاة المسلمة "دلال"

التي كان مستعداً للدخول في الإسلام من أجلها. ولعلّ محو ملامح الصورة في الغلاف، يتلائم مع هذا المنظور الأدبي، حيث يتذبذب بطل الرواية من أجل الحصول على حبيبته، ومن هذا المنطلق فاللّون يدعم هذه الفكرة بشكل ملموس في الغلاف.

«**جن يوسف بحبها إلى حدّ أنّه كان مستعداً لأن يخاطر بكل شيء من أجل أن يكون معها فكان مستعداً أن يشهر إسلامه إذا لزم الأمر... عرض عليها أن يتزوجا وفاتحت أباها بالموضوع لكنه غضب ورفض رفضاً قاطعاً... أما يوسف فلم يفاتح (حنة)، فقد كان يعرف رأيها بالزواج من غير المسيحيين مما كانت تقوله عن اولئك الذين يغامرون ويقترفون الفعل المشين، فهو الرفض القاطع**» (انطون، ٢٠١٢م: ٦٦)

أما اللّون الأبيض فهو يشغل حيزاً كبيراً من الغلاف، لأن صورة السيدة العذراء وصورة سيّدنا المسيح عليهما السلام جاءتا باللّون الأبيض، حيث تدلّ هذه الدلالة على حبّهم للسلام، والابتعاد عن الحرب والدمار.

٣-٣. العنوان

سُميت سورة كاملة في القرآن الكريم باسم السيدة مريم العذراء عليها السلام تخليداً لها، حيث ولدت المسيح بمعجزة فريدة من نوعها، فهي ولادة عذرية من غير أب "وفقاً للمعتقد المسيحي والاسلامي".. وهي السورة الوحيدة التي سُميت باسم امرأة، كذلك تعدّ مريم العذراء السيدة الوحيدة التي ذُكرت صراحة في القرآن، ممّا يُظهر عظمة قدرها وإباءها في الإسلام. جاء اسم السيدة مريم ٣٤ مرة في القرآن الكريم، فنقرأ في سورة آل عمران: إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي إِنَّكَ أَنْتَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا وَضَعَتْهَا قَالَتْ رَبِّ إِنِّي وَضَعْتُهَا أُنْثَى وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا وَضَعَتْ وَلَيْسَ الذَّكَرُ كَالْأُنْثَى وَإِنِّي سَمَّيْتُهَا مَرْيَمَ وَإِنِّي أُعِيذُهَا بِكَ وَذُرِّيَّتَهَا مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ ﴿٣٦﴾ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنْبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ (آل عمران: ٣٥-٣٧). والصورة

التي اختارها المصمّم لهذه الرواية توحي إلى السيدة مريم العذراء، حيث يعالج الروائي في هذه الرواية، الأحداث التي أحدقت بالعوائل المسيحية، والأذى والإساءة التي تكبدتها هذه العوائل جراء الفوضى التي حلت بالعراق أثناء سقوط حزب البعث. وقد صاغ سنان أنطون رواياته على النحو الآتي:

اسم الرواية	أجزاء العنوان			
وحدها شجرة الرمّان	من ثلاثة أجزاء	وحدها	شجرة	الرمّان
يا مريم	من جزأين	يا	مريم	
الفهرس	جزء واحد	الفهرس		
الإعجام	جزء واحد	إعجام		

رواية **"يا مريم"** وعنوانها المثير الذي يشير إلى مريم المقدسة في المعتقد المسيحي، وأيضاً دلالات النصّ الروائي تشير إلى عائلة مسيحية وأحداث طائفية ترغم الكثير من المسيحيين على ترك أوطانهم. رواية **"إعجام"** حيث يقولها بطل الرواية بصورة تهكمية ويقصد بها "إعدام" وهذا العنوان يتلائم والمضمون الروائي. رواية **"الفهرس"** فهذا العنوان من العناوين التي تحمل دلالات عدة، إذ يشير بطل الرواية "نمير" إلى "ودود" بائع الكتب الذي جمع صوراً وقصاصات للجرائد ونصوصاً تتعلق بالحرب وأحداثها وسمّاها الفهرس، حيث يشير إلى تاريخ العراق الدموي. لاتأتي عناوين الأعمال الأدبية أو الروائية بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب، بل يكون اختيارها بشكل متعمّد ومقصود ووفق عملية فنية منظّمة ودالة على مضمون الرواية وما يحتويه من أفكار، أمّا إذا كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية وفكرتها المحورية، فإنّه يفقد الكثير من قيمته الإيحائية والدلالية والفنية.

٣-٤ . عتبة العنوان

هو العلامة الجوهرية والعنصر الأهم من عناصر النص الموازي، نظراً لموقعه الاستراتيجي في كونه مدخلاً أساسياً لقراءة العمل الأدبي، وقد قدّم له جيرار جينيت تعريفاً أكثر دقة، حيث يقول: «العنوان هو العلامة الجوهرية والعنصر الأهم من عناصر النص الموازي حتّى كاد يستقل بعلم خاص وهو علم العنونة أو العنوانيات ومن بين أكبر المشتغلين على هذا العلم والمؤسسين له «ليوهوك» في كتابه سماه العنوان» (بلعابد، ٢٠٠٨م: ٦٥). حيث يعرّفه بأنه «مجموعة العلامات اللسانية من كلمات وجمل وحتّى نصوص قد تظهر على رأس النص لتدل عليه وتعينهُ، وتشير لمحتواه الكلي لتجذب جمهوره المستهدف» (المصدر نفسه: ٦٧). يتّضح لنا من خلال ما سبق، أن العنوان أبرز العتبات التي تواجه المتلقّي في طريقه للكشف عن النص وعوالمه فهو البوابة الأولى التي يلج من داخله المتلقّي إلى النص، فالعنوان حظى باهتمام بالغ كونه العتبة التي تستوقف المتلقي. يرى جميل حمداوي أنّ العنوان «هو أوّل عتبة يطؤها الباحث السيمولوجي لاستنطاق العنوان واستقرائه بصرياً ولسانياً أفقياً وعمودياً» (حمداوي، ١٩٩٧م: ٩). إذن يحتل العنوان أهمية بالغة وبما أنه عتبة من عتبات النص الموازي فهو لا ينفصل عن مضمون العمل الأدبي، لايمكن الغور في أعماق النص إلّا بعد اختيار عتبة النص، ونظراً للمكانة البارزة التي احتلها العنوان وجب الوقوف عنده لتحديد مفهومه من الناحية اللغوية والاصطلاحية.

٣-٥ . المفهوم اللغوي للعنوان

(عَنَنَ): عنَّ الشيء يَعِنَّ ويَعُنُّ عَنَناً وعُنُوناً، ظهر أمامك، وعنّ يَعِنُّ ويعُنّ عنّاً وعُنُوناً واِعتَنَّ: اعترض وعَرَضَ، والاعتنان الاعتراض، وكذلك العنُ من عَنّ الشيء أي اعترض. وعَنَنتُ الكتاب وأعنَنتُهُ لكذا أي عرضته له وصرفته إليه، وعنّ الكتاب يَعُنُّهُ عناً وعنَّنه: كعنونهُ، وعنونتهُ، وعلونتهُ بمعنى واحد، مشتق من المعنى وقال اللحياني: «عننتُ الكتاب تعنيناً وعنّيته تعنيةً إذا عنونته، أبدلوا من إحدى النونات ياء، سمي عُنواناً لأنه يعنّ الكتاب من ناحيته، وأصله عُنَّانٌ،

فلما كثُرَت النونات قُلِبَت إحداها واواً، ومن قال عُلوانُ الكتاب جعل النون لاماً لأنه أخف وأظهر من النون». (رضا، ١٩٦٠م: ٢٨٧).

٦-٣ . العنوان لرواية "يا مريم"

العنوان من أهمّ العتبات النصية الموازية المحيطة بالنصّ الرئيس، حيث يساهم في توضيح دلالات النصّ، واستكشاف معانيه الظاهرة والخفية إن فهماً وإن تفسيراً وإن تفكيكاً وإن تركيباً. ومن ثمّ فالعنوان هو المفتاح الضروري لسبر أغوار النصّ، والتعمّق في شعابه التائهة، والسفر في دهاليزه الممتدة. والعنوان هو الأداة التي يتحقّق بها اتساق النصّ وانسجامه، وبها تبرز مقروئية النصّ، وتنكشف مقاصده المباشرة وغير المباشرة. في ضوء ذلك يرى البعض أنّ النصّ هو العنوان، والعنوان هو النصّ، وبينهما علاقات جدلية وانعكاسية، او علاقات تعيينية أو إيحائية، أو علاقات كلية أو جزئية. لا تأتي العناوين بطريقة عشوائية أو خارجة عن إرادة الأديب، بل يكون اختيارها بشكل متعمّد ومقصود، ووفق عملية فنية منظّمة، ودالة على مضمون العمل الروائي، وما يحتويه من أفكار، وإن كان العنوان غير متوافق ومتناغم مع مضمون الرواية وفكرتها المحورية، فإنّه يفقد الكثير من قيمته الإيحائية والدلالية والفنية. وكثيراً ما يعمد الروائيون إلى اختيار عناوين رمزية بعيدة عن التصريح والمكاشفة لرواياتهم، ولما يحويه الرمز من دلالات ومعاني أقوى بكثير من الألفاظ المباشرة، فالعناوين هي مفاتيح الدلالة.

٤ . رواية «وحدها شجرة الرمّان»

بطل رواية وحدها شجرة الرمّان يدعى «جواد»، وأحداث الرواية، تدور حول هذه الشخصية التي طالما كانت منعزلة ومنطوية. جواد؛ الشخص الموهوب كان يعاني من عقد نفسيّة جعلت منهُ كائناً مختلفاً مع باقي الشخصيات، أبرز هذه العُقَد هي عُقدة الجنس والدونيّة. كان "كاظم" والدهُ يمتهن غسل الأموات في مقبرة الشيعة، وكان جواد يستحي أن يخبر أصدقائه بما يمتهنه والده، وهي المهنة التي تُسمّى «إمغِسيلچِي» في الشارع العراقي، كان لجواد أخ أكبر منه اسمه أمير، وكان جواد يرى في أخيه أمير جبلاً له في الشدائد وملمّات الحياة، لكنّه مات في الحرب

الإيرانية العراقية، وبهذا فقد جواد أخاه "أمّوري" وبقى وحيداً مع والده وأمّه. كان جواد يكره غسل الأموات ويحاول أن يفرّ من مهنة والده ليشتغل صبّاغاً، كما أنه أراد أن يهرب خارج البلاد أيضاً، لكنّه بعد موت والده، وبسبب الحرمان والعوز الذي اشتدّ به، اضطرّ أن يشتغل في «الإمغيسِل» رغم ميله الباطني. بما أنّ بطل الرواية "جواد" كان من الطائفة الشيعية وكانت أُمّه تذهب إلى زيارة الأئمة ومنهم الإمام الجواد عليهم السلام، فالعنوان ينصُّ على شهادة الإمام، حيث مات مسموماً بالرمّان، فأراد الروائي أن يخلق فضاءً أكثر دلالية للطائفة الشيعية. يكشف لنا الروائي، طيلة سرد الرواية، عن مجازر أخلاقية وسياسية بصيغة بسيطة؛ بطل هذه الرواية «جواد»؛ فردٌ مضطرب يعاني من ضجيج روحي. تتكوّن هذه الرواية من خمسة وخمسين فصلاً، وبعد انتهاء كل فصل يسرد الروائي لنا حُلماً حتّى لاينسى القارئ اضطرابه وتوتراته الفردية.

تحتوي هذه الرواية على ذكريات قديمة، حيث موت أمّوري، وذهابه الى الملعب ليشاهد مباراة الزوراء مع عمّه الشيوعي، ومحاولات رسمه، وايذاء الطلاب في المدرسة، ودخوله الى «المغيسل»، ومحاولة هروبه من الوطن، ونزوحه للغرب، الفكرة التي باءت بالفشل من بداية أمرها. هناك في بلاد الرافدين على مدى ثلاثة عقود، وخلال ثلاث حروب مرّت على الشعب العراقي، بقيت شجرة الرمّان في باحة «المغيسل»، مغسلة الموتى في إحدى محلّات حيّ من أحياء بغداد، تزهر كالربيع، والمارّون من حدود الحياة إلى الموت يعبرون من أمامها، لكي تشرب من ماء غسلهم، وتزهر براعم الرمّان، التي تنبثق من الموت بعد كلّ شتاء. جواد كاظم، الفنان الذي أبى أن يمتهن مهنة أبيه في مغسلة الموتى، لأنّه يرى في نفسه الفنان الذي يستطيع أن يقوم بخلق شيء لم يقم به أحد قبله، فكان رائد أستاذ الفن، اوّل من أثنى على موهبته في الرسم أيام المدرسة، وبذلك فتح طريقاً في قلب جواد، ليغيّر مستقبله بأكمله، ولكن، هل فعلاً، ستتغير طرق الحياة وتقاديرها من خلال ثناء؟

تتشكّل عائلة جواد كاظم، من والده المغسّل، ووالدته، وأخيه أمّوري الأكبر المتفوّق، والمحبوب لدى والده ووالدته. ثلاث شخصيات أثّرت في مصير جواد الفنان وكان لكلّ حدث مع هذه الشخصيات، تفصيل هام في حياته، يرسمون جميعاً لوحة مبهرة لعائلة عراقية واقعية تعيش المأساة منذ اليوم الأوّل. أمّا ريم، عشيقته، تلك الأنثى التي اجتاحت كيان جواد منذ السنة الأولى في كلية الفنون الجميلة، ريم التي تشكل الحياة التي يأملها جواد ويستند عليها، وكان جواد بالنسبة لها، العمود الذي يرتكز عليه المنزل ويرتفع. علاقتهما عنيفة في الحب، شرسة في التفاصيل. "وحدها شجرة الرمّان"، قصّة شعب عانى من الحروب والكوارث السياسية أشد معاناة، ثلاثة عقود كانت كافية لكي تجعل من الشعب العراقي رمزاً للمعاناة في تاريخ الشرق الأوسط، ملايين الشهداء والقتلى، كان العراق مسرحاً لهم، وكان «المغيسل» فصلاً من فصول هذه المسرحية الطويلة الأمد، نرى من خلالها الآلاف من الشباب الذين قست عليهم الظروف والأجواء لتطيح بهم من مسرح الحياة، امتهن والد جواد وحمودي وجواد، مهنة غسل أولئك القتلى جميعاً، والذين كانوا من طائفة واحدة وهي الشيعة، أمّا قتلى وشهداء الطوائف الأخرى، فكانت تغسّل في أحياء أخرى من بغداد. يزرع لنا سنان أنطون، مؤلف الرواية، في باحة «المغيسل»، بقساوته ورمزيّته السوداوية الشديدة، لتاريخ ومستقبل أمّة تحتضر، ثمرة الحياة، ويعطينا أملاً بأنّه من قلب الموت ومن عمق القبور والسواد، قد تنمى بذرة مليئة بالحياة والأمل والحب. سنان أنطون الذي قدّم لنا رواية متقنة في الحبكة وفي السرد وتقنية الاسترجاع الفني عبر أزمنة مختلفة، ضمن قالب روائي يبدأ كنظام فاشي يشارك في حربين مجنونتين ليواجه حصاراً اقتصادياً صريعاً فاحتلالاً أمريكياً قاشماً أسدل ستار الإبادة على كل شيء.

١-٤. سيميائية العتبات النصّية في رواية «وحدها شجرة الرمّان»

لم يولِ النقّاد والدّارسون اهتماماً لعتبات النصّ إلّا في الدّراسات السيميائية المعاصرة، حيث اهتمّت السيميائية بكلّ مايحيط بالنصّ من عناوين، ومقدّمات، وهوامش، وتنبيهات، وذلك بعدما تبيّن أنّها من المفاتيح المهمّة في اقتحام أغوار النصّ وفتح مغاليقه ومجاهيله، فغدت هذه

الدراسات لاتخلو من إشارات إلى العتبات النصية وخاصة العنوان، باعتباره العتبة الرئيسة التي تفرض على الدّارس أن يتفحّصها ويستنطقها قبل الولوج إلى أعماق النصّ.

٢-٤ . سيميائية الوطن على مستوى العتبات

لكي نسبر أغوار النصّ ونكشف تجليّات الوطن في روايات سنان أنطون، لابدّ أن نضع أقداماً ثابتة على مدخل النصوص وعتباتها، وفق الأطروحات التي قدّمها الناقد الفرنسي جيرار جينيت للعتبات النصيّة التي يندرج تحتها الغلاف الخارجي للرواية، والعنوان، والإهداء، حيث يشكّل كلّ منها نصّاً مجاوراً وموازياً للنصّ الروائي.

تتبارى دور النشر بالاهتمام بجماليّات العتبات الأولى للكتب الصادرة عنها، وتشتمل هذه العتبات على الغلاف والعنوان والإهداء والنبذة التعريفية بالمؤلف وما إلى ذلك. هذا الاهتمام بالعتبات الأولى جعل المتلقّي يقرأها قراءة نقدية تحليلية بوصفها المرشدة الى متن النصّ؛ ممّا دفع النقّاد إلى تأمل العتبات الأولى وتحليلها وربطها بالمتن النصّي.

٣-٤ . الغلاف الخارجي لرواية وحدها شجرة الرمّان

لقد اهتمّت الدراسات الحديثة للرواية، بالغلاف الخارجي أيّما اهتمام، فاعتبرته عنصراً هاماً من عناصر الرواية، مثله مثل النصّ الروائي، لذلك أولته عناية خاصّة حتى يكون بمثابة المرآة العاكسة للمتن، فصورة الغلاف «إضافة إلى كونها وسيلة من وسائل الإشهار وجذب القرّاء من طريق الألوان والتعابير، تعطينا – ولو نظرة موجزة – حول النص» (فدور، ٢٠٠٥م: ١٣٤). إنَّ غلاف الرواية يضمّ عناصر أيقونية متعدّدة مثل اسم المؤلّف وجنس الرواية واسم الهيئة الناشرة.

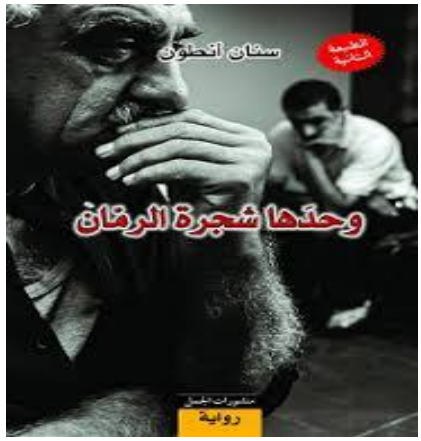

لعلّ الشيء الملفت للانتباه في الغلاف الخارجي لرواية "وحدها شجرة الرمّان" هو حضور شاب جنب رجل عجوز صامتين، متحيّرين وكأنّهما عاجزان عن فهم هذا العالم. نظرة في الفراغ، والعدم، الشاب الذي هو "جواد" يده على خدّه في فكرٍ عميق. أمّا صورة الرجل الكهل هو "كاظم" والد جواد، فربّما هذه الجلسة التي تعكس لنا الحيرة والعدم هي من داخل «الإمغيسل»، واسم الرواية في بطن الصفحة باللون الأحمر، لكي يشير إلى حُبيبات الرمان الأحمر أو إلى الدماء التي تُغسل وتُزاح من جثث الأبرياء عند قدومها إلى الإمغيسل؛ وفي الأعلى كُتب اسم الروائي باللّون الأسود والأبيض.

والجليُّ في الغلاف، هو تلك الدكنة السوداء التي عتّمت المكان وميّزت الغلاف الأمامي في الرواية، ممّا جعلته يوحي بعدّة أمور منها: الحزن، والألم، والكآبة، التي يغرق فيها الوطن، وهذا اللّون لم يأت اعتباطياً، بل يعبّر عن مواقف وحالات نفسية، كالخوف، والغموض، وقد عزّز هذه الرؤية الضبابية التي تنطبق على أحداث الرواية. فغلاف الرواية له علاقة وطيدة بالنصّ، فقد ألمّ بالمتن وجاء اختصاراً له، سواء من حيث اللّون أو الصورة، ومنه نجزم بأنّ مصمّم الغلاف استطاع أن يربط ذهن المتلقّي بمحتوى الرواية من خلال الغلاف، ومن جهة أخرى نجد أنّ اللّوحة المرسومة تجسيد مطابق للعنوان، فهي ترجمة حرفية له. ويأتي اهتمام البحث بهذه النصوص الموازية: العنوان كرافد منهجي، نحاول من خلاله مقاربة النصّ، والكشف عمّا يرمز إلى السيميائية من خلال دلالات خفيّة.

٤-٤ . العنوان في رواية "وحدها شجرة الرمّان"

العنوان هو أوّل ما يواجهنا في غلاف الكتاب ويُعتَبَر بصمة المؤلف، البصمة التي تكشف المحتوى للقارئ. «العنوان بات معروفاً في النقد الحديث وإنّ تحليل العنوان له أهمّية كبيرة من حيث هو نص صغير يضم وظائف شكلية وجمالية ودلالية تُعدّ مدخلاً لنص كبير، كثيراً ما يشبّهونه بالجسد رأسه هو العنوان» (جاسم، ٢٠١٣م: ١٤). و«يُعدّ العنوان جزءاً هامّاً من الفضاء النصي. وهو أوّل مايشغل حيزاً على الورق، ويتصدّر أغلفة الدواوين والمجموعات الشعرية والقصائد على حد سواء» (سيدأحمد، ٢٠١١م: ١٢٠٩).

وفي هذا الكتاب المرشّح لدراستنا هذه، يتكوّن العنوان من ثلاث مفردات، وجاء باللون الأحمر الضخم «وحدها شجرة الرمان». جاء اسم الكاتب في أعلى الصفحة باللون الأسود والأبيض، ومن ثمّ في وسط الصفحة جاء عنوان الرواية. إذن من المهمّ أن نقف عند العنوان بوصفه مفتاح الرواية الأساسي، الذي نلج من خلاله عالمها المتخيّل، إذ يعتبر العنوان سمة «تضيء غوامضه وتفك رموزه وتعيد توزيع عناصره» (فكري جزار، ١٩٩٨م: ١١٨). فهو يجسّد «سلطة النصّ وواجهته الإعلامية» (حمداوي، ٢٠٠٦م: ٢٢٠). وواحد من النصوص الموازية، وأولى العتبات التي نطؤها قبل الولوج إلى فضاء النصّ الداخلي، فهو يرد في شكل نصّ «يختزل نصّاً كبيراً عبر التكثيف والترميز والتلخيص» (حليفي، ١٩٩٢م: ٢٣).

ويتّضح من خلال القراءة الأولى لرواية "وحدها شجرة الرمّان"، أنّه عنوان يتمتّع بحضور دائم في أغوار النصّ من حيث قدرته على إثارة التساؤلات سعياً لتحصيل دلالته «باعتباره مفتاحاً أساسياً يتسلّح به المحلّل للولوج إلى أغوار النصّ العميقة، قصد استنطاقها وتأويلها» (حمداوي، ١٩٩٧م: ٩)، وهكذا يغدو العنوان حلاًّ، سؤالاً إشكالياً ينتظر والنصّ الروائي بمثابة إجابة عليه. والمؤكد أنّ العنوان يبقى يستفز القارئ، الذي يتحوّل إلى مبدع ومنتج ثانٍ للنصّ، وبهذا ينفتح المنتج على أكثر من قراءة، فالمتلقّي مطالب بملء فراغات وتوقّع ما يأتي في النصّ، الأمر الذي ساهم في تشكيل أفق لرؤية القارئ في القراءة. وليس غريباً أن نبدأ هذه المقاربة

بالعنوان والارتكاز عليه، فهو يعدّ العنصر الأوّل الذي يظهر على واجهة الكتاب كإعلان إشهاري محفّز للقراءة يشفّ عن طاقة إيحائية وبنية دلالية. بما أنّ الرواية تتحدّث عن الحُقبة الأكثر دموية في العراق؛ منذ تولية حزب البعث حتّى الغزو الأمريكي للعراق، هي الحُقبة التي رأى الشعب العراقي فيها شتى الويلات جراء الحروب، وهيمنة الطغاة، وظهور الأحزاب المتطرفة، لذا فاللّون الأحمر للعنوان، يتلائم ومضمون الرواية، كما يريد الروائي أن يعلن عن وحدة تعتري الشعب العراقي، وهي عدم الأمان لكل عراقي في العراق، لهذا صوّر لنا هذه الوحدة، من خلال وحدة "جواد" بطل الرواية وانعزاله، ووحدة "شجرة الرمان" في باحة «الإمغيسل».

إذا ألقينا نظرة على البناء النحويّ لعنوان الرواية، "وحدها شجرة الرمّان"، فإنّهُ يختزل عنوان الرواية إلى مفرداتٍ ثلاثة هما "وحدها" التي جاءت تأكيداً للشجرة حيث هي بمثابة المبتدأ، والرمّان مضاف اليه والخبر محذوف (هذه)، أو هذه مبتدأ محذوف، وشجرة الرمّان خبر ووحدها تأكيد.

٥. النتايج

تطرقنا إلى العتبات النصية، حيث هي سيميائية مطلع الروايات، وتعدّ عنصراً مهماً من عناصر السرد الروائي، فسنان أنطون يعلم أهمية هذه العتبات، ويراها مفتاحاً أساسياً للولوج إلى المتن الروائي، لكونها تحمل إشارات عديدة تنبئ بما يوجد في فحوى المتن، ومن خلال هذا فأنّ اختيار سنان أنطون لهذه العتبات لم يكن اعتباطياً أو محض صدفة، بل جاء عن دراية تامّة بأهمية هذه العتبات ولغايات منفعيّة وقيمة ثريّة تُستنفد كلّها لخدمة النص السردي. فقد حملت العتبات النصية العديد من العلامات الدلالية الموحية التي ينبثق منها الألم الإنساني، والوجع الشعبي الذي يعد المحور الأساسي في الروايات.

جاءت العناوين بمثابة أيقونة دالّة، حيث لمّحت إلى الوطن، والوجع، والكوارث والديستوبيا، والحروب المتتالية دون أن تفصح، وأوجزت مضمون الروايات دون أن تفصّل. رواية "يا مريم" التي لعنوانها دلالة على الطائفة المسيحية في العراق والاضطهاد الذي ألمّ بهذه الطائفة لكونها

أقليّة غير مسلمة، كما تدلّ على انفجار كرّادة الذي راح ضحيته مئات الشهداء والمصابين، ورواية "يا مريم" هي دفاع عن الطائفة المسيحية من خلال اللوحة، والعتبات كانت هي الأكثر إيضاحاً للمخاطب في إبراز هذه الدوال.

رواية "وحدها شجرة الرمان" حقّقت شعريتها من خلال إحباط الفرد العراقي، والشاب العراقي بمختلف تنويعاته، فقد استغلّ الروائي العتبات المختلفة ليحمّلها صوره وتشكيلاته، مستثمراً حمولتها وقدرتها على تجسيد الأفكار عبرها. هذه الرواية تدلّ على ضياع الفرد العراقي من خلال جواد؛ بطل الرواية الموهوب، كما أنّ العتبات ساندت أيضاً، الفكرة بظهور لوحة فنية لشاب ووالده في منتهى الإحباط.

ثمّ سيمياء الأسماء والشخصيات، هي الأهمّ في روايات لدى سنان أنطون، إذ تكمن أهمية هذه الروايات في اختيار الدلالات الرمزية الخاصة بأسماء أبطالها، وذلك من خلال اهتمام سنان أنطون في انتقاء أسماء شخوصه الروائية، وتأثيرها على المتلقي، وبالتالي مدى اهتمام القُرّاء بهذه الشخصيات. الدراسة السيميائية لأسماء الروايات تكشف جانباً من الجماليات الكامنة التي احتوتها الروايات. وإنّ انتماء الشخصية إلى قضية ما، وتسميتها باسم ما أو وسمها بعلامة ما، ليس من قبيل الصدفة وإنما يأتي عن قصد وإرادة من قبل سنان أنطون، فيعدّ الاسم أو مدلوله اللفظي من الوسائل التي يتوسلها الروائي لتقديم أفكاره، وأحاسيسه إلى المخاطب. فلأسماء الشخصيات الرئيسة في الروايات التي رُويت على لسان البطل دلالات متعددة. جواد؛ جواد بطل رواية "وحدها شجرة الرمان"، شيعي المذهب، يعيش مع عائلته، لم يكوّن لنفسه عائلة، ولا حتّى مهنة تُرضيه، وبما أنّه كان من هواة الرّسم، إلّا أنّه ترك هذا الفنّ رغم إرادته وامتهن مهنة والده وهي غسل الأموات التي كان يكرهها، لكنّ الروائي تعمّد في خلق هذا الحدث، كي يبيّن الصراعات الطائفية، وغير الطائفية، وذبح الرجال والنساء لأسباب مذهبية، وتأتي شخصيات موازية لهذه الشخصية في الرواية، كحمودي، وأمّوري، وأم جواد، ووالد جواد، وحبيبته، وأصدقاءه في المدرسة وخارج المدرسة، رغم أنّ جواد لايعير اهتماماً للعلاقات

الاجتماعية ولايحب هذه التواصلات. فظهرت هذه الشخصية كرمز للشاب العراقي المنهك من الصراعات، والحروب.

ثمّ في رواية "يا مريم" تظهر لنا شخصيات كثيرة من الطائفة المسيحية، ففي بداية الرواية كان الراوي "يوسف" ذلك العجوز الذي يحب بلاده، ولا يفكّر بالهجرة رغم كلّ الظروف الصعبة التي أحدقت بالعراق، إلى أن يموت في انفجار كرّادة المهيب، فتظهر "مها" بصفتها الراوي الثاني لسرد الأحداث في الرواية، كي تنقل الأحداث لنا من بطن الكنيسة.

المصادر والمآخذ

- القرآن الكريم
- أنطون، سنان (٢٠١٢م)، **رواية يا مريم**، بيروت: دار الجمل، الطبعة الأولي.
- أنطون، سنان، (٢٠١٣م): **وحدها شجرة الرمان**، بيروت: دار الجمل.
- بلعابد، عبدالحق، (٢٠٠٨م): **عتبات جيرار جينيت من النص إلى المناص**، ط١، الجزائر: الدار العربية للعلوم ناشرون، منشورات الاختلاف.
- جاسم، جاسم محمّد (٢٠١٣م)، ***جماليات العنوان: مقاربة في خطاب محمود درويش الشعري***، عمان: دار مجدلاوي.
- حليفي، شعيب، (١٩٩٢م) النصّ الموازي واستراتيجية العنوان، **مجلة الكرمل**، قبرص، عدد٤٦.
- الحمداني، حميد، (٢٠٠٣م)، **القراءة وبناء الدلالة**، ط١ الدار البيضاء: المركز الثقافي العري الدار البيضاء المغرب/بيروت لبنان.
- حمداوي، جميل، (١٩٩٧م): **السيموطيقة والعنونة**، الكويت، وزارة الثقافة، مجلة عالم الفكر
- حمداوي، جميل، (٢٠٠٦)، لماذا النص الموازي؟ **مجلة الكرمل**، مؤسسة الكرمل الثقافية فلسطين، عدد٨٨، صص٢١٨-٢٢٥.
- دمس، حنان وعفاف لملوم (٢٠١٧م)، "**العتبات النصية في رواية مملكة الفراشة لواسيني الأعرج**" الجزائر: الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية في جامعة محمد الصديق بن يحي.
- رضا، أحمد، (١٩٦٠م): **معجم متن اللغة**، (د،ط)، ج٤، بيروت: منشورات دار مكتبة الحياة.

- سيدأحمد، حيدر محمّد جمال، (٢٠١١م): «شعرية العنونة: عزالدين المناصرة نموذجاً»، ***مجلة الجامعة الإسلامية للبحوث الإنسانيّة***، المجلّد ١٩، العدد ٢، غزة، الجامعة الإسلامية، صص ١٢٠٧-١٢٣٦.

- صالح، ويس، (٢٠٠٤م)، **الصورة اللونية في الشعر الأندلسي**، عمان: دار مجدلاوي.

- عبد الرزاق، بلال، (٢٠٠٠م): **مدخل إلى عتبات النص (دراسات في مقدمات النقد الأدبي)**، ط١، المغرب: دار إفريقيا الشرق.

- فكري جزار، محمد، (١٩٩٨م): **العنوان وسيميوطيقا الاتصال الأدبي**، الهيئة المصرية العامة للكتاب.

- كحالي، ربيعة، سامية بلطراش، (٢٠١٩م)، **سيميائية العتبات النصية في رواية "يا مريم" لسنان أنطون**، رسالة ماجستير، جامعة محمد بوضياف.